﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾ [المائدة: 75]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إثبات رسالة المسيح عليه السلام وبشريَّته بعد نفي ألوهيَّته

لمَّا أبطل الله الكُفر كُلّه بإثباتِ أفعاله من إرساله وإنزاله وغيرِ ذلك من كماله، وردَّ على النَّصارى قَوْلَهُم الأوَّل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ بقولِ المسيح: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾ وقولَهم الثَّاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾: بقوله: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾؛ أثبت له الرِّسالة بصورة الحصر[1]؛ ردًّا على مَن يعتقد فيه الإلهيَّة[2].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خَلَتۡ﴾: مَضَتْ، يُقال: خَلا يَخْلُو خَلاءً، فهو خالٍ[3]، وأصل (خلو) يدلُّ على تعرِّي الشَّيء من الشَّيء[4]، والخلاء: المكان الَّذي لا ساتر فيه من بِنَاءٍ ومساكنَ وغيرِهما، والخُلُوُّ يُستعمل في الزَّمان والمكان، لكن لَمَّا تُصُوِّر في الزَّمان المضيُّ؛ فَسَّرَ أهل اللُّغة (خلا الزَّمان) بقولهم: مضى الزَّمان وذهب، وخَلا قَرْنٌ؛ إذا مضى، فهو خالٍ، والقرون الخالية: المَواضي[5]، والمعنى هُنا: تقدَّمت قبلَه الرُّسل، فلم يكن أوَّل رسولٍ أُرسِلَ، فَيُتعجَّب منه[6].

2) ﴿صِدِّيقَةٞۖ﴾: مُبَالِغَة فِي الصِّدْق والتَّصْدِيق، والصِّدق: ضِدُّ

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/332.
(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 6/254.
(3) الخليل، العين: (باب الخاء واللام وا يء).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خلو).
(5) الرَّاغب، المفردات: (خلو)، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصل: (خلو، خلا).
(6) ابن قُتيبة، غريب القرآن، ص: 145.

الكَذِب، يُقال: صَدَقَ يصدُق صِدْقًا، وأَصْلُ (صدق) يدلُّ على قوَّةٍ في الشَّيءِ قولًا كان أو غيرَه، والصِّدِّيقُ: من كَثُر منه الصِّدقُ والتَّصديقُ، والصِّدِّيقُ أيضًا: مَن صدَقَ بقَوْلِه واعتقادِه، وحقَّق صِدقَه بفِعلِه[1].

3) ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفون عن الحقِّ والخير، ويَعْدِلون عنه، يُقال: أفِكَ الرَّجلُ عن كذا؛ إذا عدَلَ عنه، والإفك: كلُّ مصروفٍ عن وجهِه الَّذي يحقُّ أن يكونَ عليه، والأَفَّاكُ: الَّذي يأفِك النَّاس عن الحقِّ، أي: يصدُّهم عنه بالكذب والباطل[2]، ويُطلق الإفكُ أيضًا على الكذب، يُقال: أفك يأفك أفكًا، وأَصْلُ (أفك): يدلُّ على قلبِ الشَّيءِ، وصَرْفِه عن جِهتِه، وأَفَكْتُه عن الأمر: صرفتُه عنه بالكذب والباطل[3].

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

المسيح عيسى عليه السلام رسولٌ كباقي الرُّسل، وبَشَرٌ يحتاج إلى ما يحتاجه البشر

ليس المسيح عيسى ابن مريم إلَّا رسولًا كمن تقدَّمه مِن الرُّسل، يجري عليه ما جَرَى عليهم من الموت، وأمُّه مريم - عليها السلام - كثيرة الصِّدق والتَّصديق، وهُما كغيرهما مِنَ البشر يحتاجان إلى الطَّعام، وذلك علامة البشريَّة، فلا يكون إلهًا مَن يحتاج إلى الطَّعام ليعيش؟ فتأمَّل - أيُّها الرَّسولُ ﷺ - كيف نوضِّحُ لهم العلاماتِ الدَّالَّةَ على وَحْدانيَّتِنا، وعلى بُطلان ما هم عليه مِن المُغالاة في نسبة الألوهيَّة لغيره سُبحانه، وهُمْ مع ذلك يتنكَّرون لهذه الآيات، ثُمَّ انظر نَظَرَ تَأمُّلٍ: كيف يُصْرَفُونَ عن الحقِّ بعد هذا البيان[4]؟

(1) ابن سيده، المحكم، والرَّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والزبيدي، تاج العروس: (صدق).

(2) الخليل، العين: (أفك).

(3) الرَّاغب، المفردات، وابن عبَّاد، المحيط، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن عزيز، غريب القرآن، ص: 532، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 145، 79، وابن الجوزي، تذكرة الأريب، ص: 85.

(4) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 160، ونُخبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 120، وجماعة من علماء التَّفسير، المُختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 120.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

**عِلَّةُ فصل قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ﴾ عمَّا قبله:**

قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ﴾ استئناف مَسوقٌ لتحقيق الحقِّ الذي لا محيد عنه، وبيانِ حقيقة حال عيسى عليه السلام وحالِ أُمِّه[1]، فكأنَّ قائلًا إذا سمع ما تَقَدَّم؛ قال: إذا كان التَّثليث أمرًا باطلًا، لا حقيقة له، وكان الإله الحقُّ واحدًا لا مثيلَ لهُ في الذَّاتِ ولا في الصِّفاتِ، فما بالُ المسيح، وما شأنه؟ هل يُعدُّ فردًا من أفراد المخلوقات، لا يمتاز عليها بالذَّات ولا بالصِّفات؟ وهل تُعَدُّ أمُّه كسائر النِّساء؟ فأجاب الله تعالى عن هذه الأسئلة التي يوردها من أكْبَرُوا المسيحَ أن يكون بَشَرًا[2]، ففصل بين هذه الجملة وما تقدَّمها زيادةً في إبطالِ مُعتقَدِ النصارى إلهيَّة المسيح، وإلهيَّة أمِّه[3].

الزِّيادة في إبطالِ مُعتقَدِ النَّصارى إلهيَّة المسيحِ، وإلهية أمِّه

**بلاغة القصر في قوله: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ﴾:**

قوله: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ﴾ قصرٌ موصوفٍ على صفة، وهو قصر إضافيٌّ، أي: المسيح مقصور على صفة الرِّسالة لا يتجاوزها إلى غيرها[4]، وهي الإلهيَّة، فأثبت له الرِّسالة بصورة الحصر، أي: ما المسيح ابن مريم شيء مِمَّا تدَّعيه النَّصارى من كونه إلهًا وكونِه أحدَ آلهةٍ ثلاثة، بل هو رسول من جنس الرُّسل الَّذين خلوا، وتقدَّموا[5]، فليس بإلَهٍ كما أنَّ الرُّسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة؛ فالقَصْرُ هُنا قَصْرُ قَلْبٍ لردِّ اعتقاد النَّصارى أنَّه الله[6]، وفيه - أيضًا- ردٌّ على اليهود الذين ادَّعَوا كَذِبَهُ في دعوى الرِّسالة[7].

قصر صفة الرِّسالة وحصرها في شخص المسيح؛ نفيًا لألوهيَّته وردًّا لعقائد النَّصارى واليهود فيه

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/67.
(2) رضا، تفسير المنار: 6/403.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/285.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/67 والشَّوكانيُّ، فتح القدير: 2/73.
(5) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/332.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/285.
(7) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/332.

**دلالة وصف (المسيحِ) بجملة: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾:**

بـيـان اشـتـراك المـسـيـح عليه السلام لإخـوانـه من الـرُّسـل في الموت والحياة، والـتَّـأيـيـد بالمعجزات

قوله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ صفة لرسول مُنْبئة عن اتِّصافه بما يُنافي الألوهيَّة، فإنَّ خُلُوَّ الرُّسل السَّالفة - عليهم السلام - مُنْذِرٌ بخلوِّه المقتضي لاستحالة ألوهيَّته، أي: ما هو إلَّا رسول كالرُّسل الخالية من قبله خصَّه الله تعالى ببعضٍ من الآيات، كما خصَّ كُلًّا منهم ببعضٍ آخرَ منها[1]، فإنْ أحيا الله الموتَى، وأَبرأَ الأكمهَ والأَبرص على يَدِهِ؛ فقد أحيا العصا، وجعلها حيَّة تسعى، وفلق البحرَ على يد موسى، وإنْ خَلَقَهُ من غير ذَكَرٍ؛ فقد خَلَقَ آدم من غير ذكر وأنثى[2]، وفي هذا نداءٌ على غباوة القوم الذين استدلُّوا على إلهيَّته بأنَّه أحيا الموتى[3].

**نُكتة الوَصْفِ في قوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾:**

الإشـعـار بـالإغـراق في الـعُـبـوديَّـة ردًّا عـلـى مـن قـال بإلهيَّتها

قوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ أي: بليغة الصِّدق في نفسها، والتَّصديق لما ينبغي أن يُصَدَّقَ، فجاءت على بِناءٍ مِن أبنيةِ المُبالَغةِ (فِعِّيل)؛ للدَّلالةِ على مُبالغَتِها في الصِّدْقِ والتَّصديقِ[4].

فرُتبتها تلي رُتبة الأنبياء، فالصِّدِّيقون هم قوم دُوَيْنَ الأنبياء في الفَضِيلة[5]، وهذه الصِّفة لمريم تَدْفَعُ قولَ من قال: إنَّها نَبِيَّةٌ[6]، فذَكَرَ الله تعالى أشرف صِفاتها في معرض الرَّدِّ على من قال بإلهيَّتها؛ إشارة إلى بيان ما هو الحقُّ في اعتقاد ما لها مِن أعلى الصِّفات[7].

ووقع وصف (الصِّديقة) عليها لقوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتۡ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/67.
(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/332.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/285.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 4/332، وابن عاشور، التحرير والتنوير 6/286.
(5) الرَّاغب، المفردات: (صدق).
(6) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 6/251، وابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 2/222.
(7) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 6/255.

بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التَّحريم: 12]، والوصف بذلك مُشْعِرٌ بالإغراق في العُبوديَّة والقيام بمَراسِمِها، فمِن أين لهم أن يَصِفوها بما يُبَاين وَصْفها؟[1].

**دلالة قوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ على القصر:**

القصد من وصفها بأنَّها صدِّيقة نفيُ أن يكون لها وصف أعلَى من ذلك، وهو وصف الألوهيَّة؛ لأنَّ المقام لإبطال قول الَّذين قالوا: إنَّ الله ثالث ثلاثة، إذْ جعلوا مريم الأقنوم الثَّالث[2]، فقوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾، أي: (وما أمُّه إلَّا صدِّيقة[3]، فالحصر هُنا: مُستفاد من المقام والعطف، وأصل الكلام: (المسيح ابن مريم أمُّه صدِّيقة)، فهو مِن عطف المفرداتِ، ويَحْتَمِلُ أن يكون من عطف الجمل، فالظَّاهر حصرُها في الصِّدِّيقيَّة[4].

قصر الصِّدِّيقيَّة على مريم كقصر الرِّسالة على المسيح؛ نَفْيًا لألوهيَّتها

**سبب فصل قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ عمَّا قبله:**

قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ استئناف مُبَيِّنٌ لما أُشير إليه مِن كونهما كسائر أفراد البشر في الاحتياج إلى ما يَحْتَاجُ إليه كلُّ فرد من أفراده بل من أفراد الحيوانِ[5]، وفي هذا الاستئناف تنبيهٌ على سمة الحدوث، وتبعيدٌ عمَّا اعتقدته النَّصارى فيهما من الإلهيَّة؛ لأنَّ من احتاج إلى الطَّعام وما يتبعه من العوارض؛ لم يكن إلَّا جسمًا كسائرِ الأجسام المخلوقَةِ، فهذه الجملة استئناف، وإخبار عن المسيح وأمِّه، ومنبهةٌ على سِمات الحدوث، وأنَّهُما مُشاركان للنَّاس في ذلك[6].

التَّنبيه على اشتراك المسيح وأُمِّه مع سائر الخلق في سِمات الحُدوث، بعد ذكر اشتراكهما مع خواصّ خلقه في صفات التَّشْريف

(1) القاسمي، محاسن التأويل 4/215.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/285.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 2/74 والقنوجي، فتح البيان 4/27.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/118.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/68، والشَّوكاني، فتح القدير: 2/74.
(6) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/333.

**دلالة قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ بين الكناية والحقيقة:**

التَّنبيه على سمات الحُدوثِ في المسيح وأُمِّه والحاجة إلى الأكل ولوازمه

قال جماعة من المفسِّرين: إنَّ قَوْلَهُ: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ كنايةٌ عن الحدث، حيثُ كَنَّى عن قَضاءِ الحاجةِ بأكْلِ الطَّعام، والمقصود مِن ذلك أنَّهما - صلواتُ اللهِ عليهما - بَشَرٌ، فاكتفَى بذِكرِ أكْلِ الطَّعام عن كلِّ هذا؛ لأنَّهما منه مُسبَّبان؛ إذ لا بدَّ للآكلِ منهما، لكن استُقبِح في المخاطَبِ ذِكرُ الغائطِ، فكنَّى به عنه؛ تهذيبًا وتَصَوُّنًا، وهذا مِن غريبِ الكناياتِ في اللُّغة العربيَّة، وفيها - أيضًا- تشنيعٌ وبشاعةٌ على مَن اتَّخذهما آلهةً[1]؛ لأنَّ مَن أكل الطَّعام؛ فإنَّه لا بدَّ أَنْ يُحْدِثَ، ومن أكل، وأحدث؛ لا يستحقُّ أن يكون إلهًا[2].

وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ ذلك على حَقيقتِه، ويَكفِي حاجتُهما إلى الطَّعام دَلالةً على بشريَّتِهما؛ إذ هذه الحاجةُ من أقوى الأدلَّةِ على أنَّه ليس بإلهٍ، فكيف يكون إلهًا مَنْ يحتاج إلى الطَّعام، ولا يعيش إلَّا به؟ ولو كان إلهًا كما يزعُمون؛ لدَفَعَ عن نفسه ألَمَ الجُوع وألمَ العطش، ولم يوجد ذلك، فكيف يكون إلهًا[3]، فلا حاجةَ إلى الكنايةِ[4]، وإنَّما ذلك تنبيهٌ على سِمات الحدوث، والحاجة إلى التَّغذِّي الذي يفتقر إليه الحيوانُ في قِيامه، والذي يتنزَّه عنه الإله، قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ [الأنعام: 14]؛ وإن كان يَلْزَمُ من الاحتياج إلى أكل الطَّعام خروجُه[5].

**براعة أسلوب البحث في قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾:**

الاستدلال على فساد قول النَّصارى من خلال الإشارة إلى الحدوث والضَّعف والحاجة

قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ استطرادٌ، قُصد منه الاستدلال على فساد قول النَّصارى، وبيانه من وجهين:

(1) الزركشي، البرهان 2/304 - 305، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه 2/534 - 535.
(2) الثَّعلبيُّ، الكشف والبيان: 4/96 يُنظر: السَّمرقنديُّ، بحر العلوم: 1/409.
(3) الخازن، لباب التأويل: 2/66.
(4) الرَّازي، مفاتيح الغيب 12/409 - 410، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 4/333.
(5) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/333.

الأوَّل: أنَّ كُلَّ من كانتْ له أمٌّ، فقد حَدَثَ بعد أن لم يكُن، وكلُّ من كان كذلك؛ كان مخلوقًا لا إلهًا.

والآخَرُ: أنَّهما كانا مُحتاجين؛ لأنَّهما كانا مُحتاجَين إلى الطَّعام أشدَّ الحاجة، والإلهُ هو الذي يكون غنيًّا عن جميع الأشياء، فكيف يُعقل أن يكون إلهًا[1]؟

فمن احتاج إلى الاغتذاء بالطَّعام وما يتبعه مِنَ الهضم والنَّفْض؛ لم يكن إلَّا جِسمًا مُركَّبًا مِن عَظْم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقَرَم، وغير ذلك ممَّا يَدُلُّ على أنَّه مصنوعٌ مؤلَّفٌ مُدَبَّرٌ كغيره من الأجسام[2].

**نُكتة تخصيص الأكل في قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ دون غيره من الحاجات:**

ذكر الأكل لكونه ضعفًا لازمًا، مشيرًا إلى لوازم الضَّعف الأُخرى

لَمَّا كان المقامُ مقامَ بيانٍ عن نُزولهما عَن رتبة الإلهيَّة؛ ذكر أَبْعَدَ الأوصاف منها، فقال: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾، وخصَّ الأكل؛ لأنَّه - مع كونه ضعفًا لازمًا ظاهرًا - هو أصل الحاجات المعتريَة للإنسان مِن ألم جوع وشهوة ورغبة وقَرَم؛ فهو تنبيهٌ على غيره، ومِن الأمر الجليِّ أنَّ الإله لا ينبغي أن يَدْنُوَ إلى جنابه عَجْزٌ أصلًا[3].

وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ عيسى وأمَّه كانا يأكلان الطَّعام، وذكر في مواضع أُخَرَى أنَّ جميع الرُّسل كانوا كذلك، كقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: 20]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: 8]، وقوله: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: 7] الآية[4]، وفي كلِّ هذا بيانٌ لبشريَّة الرُّسل الكرام عليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام.

(1) الرَّازي، مفاتيح الغيب 1212/409، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/118 - 119، والخازن، لباب التأويل 2/66.
(2) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 1/665، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 4/333.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 6/255.
(4) الشنقيطيُّ، أضواء البيان: 1/419.

### نُكتة تقديم صفات الكمال لعيسى وأمِّه - عليهما السلام - على قوله: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾:

في تقديم ما لهما من صفات الكمال الَّتي بها صارا من زُمرة أكمل أفراد الجنس، وتأخير ما لِأفراد جنسهما من نقائص البشريَّة في الوصف المشترك بينهما وبَيْنَ جميع أفرادِ البَشر، بل أفراد الحيوان: استنزَالُهم بطريق التَّدريج عن رتبة الإصرارِ على ما تقوَّلوا عليهما، وإرشادًا لهم إلى التَّوبة والاستغفار[1].

استنزال المُخاطَبين بطريق التَّدرُّج من الأعلى إلى الأدنى تنبيهًا وإرشادًا إلى التَّوبة والاستغفار

ونظيرُ هذا قولُه تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التَّوبة: 43] حَيْثُ قدَّم سُبحانه العفوَ على المُعاتبة له ﷺ لئلَّا تُوحِشَهُ مفاجأتُه بذلك[2].

### دلالة الأمر بالنَّظر في مقام العلم في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾:

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: الدَّلالات، وفيه تعجيبٌ من حال هؤلاء الَّذين يجعلون تلك الأوصافَ مُستلزمةً للإلهيَّة، ويَغْفُلُون عن كونها موجودةً في من لا يقولون بأنَّه إلهٌ[3].

تشبيه العالِم بالرَّائي، والعلمِ بالرُّؤية في الوضوح والجلاء؛ تَعْجيبًا من حالهم

واستُعمل الأمر بالنَّظر في الأمر بالعِلم لتشبيه العالم بالرَّائي، والعلم بالرُّؤية في الوضوح والجلاء، وقد أفاد ذلك معنى التَّعجيب[4].

### سِرُّ تعليق الاستفهام للأمر السَّابق بـ ﴿كَيۡفَ﴾:

﴿كَيۡفَ﴾ اسم استفهام مُعَلِّق لفعل ﴿ٱنظُرۡ﴾ عنِ العمَلِ في مَفعولين، وهي موضع المفعول به لِـ ﴿ٱنظُرۡ﴾، والمعنى: انظر جوابَ هذا الاستفهام، وأُريد مع الاستفهامِ التَّعجيبُ كنَايَةً، أي: انظرْ ذلكَ تَجِدْ جوابَك أنَّه بيانٌ عظيمُ الجلَاء، يَتعجَّبُ النَّاظر مِن وضوحه[5].

تأكيد التَّعجيب المُستفاد من الأمر بالنَّظر

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/67، والآلوسي، روح المعاني: 3/373.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 3/373.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 2/74، والآلوسي، روح المعاني: 3/373.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 3/373.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/287.

**دلالة عدم تَعيين المُخاطَب بقوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ﴾:**

قصـــد إرادةِ العُموم

الخطاب في قوله: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ﴾ مُرادٌ به غيرُ معيَّن، وهو كلُّ مَن سَمِع الحجج السَّابقة، ويجوز أن يكون الخطاب للرَّسول ﷺ والمرادُ: هو وأهل القرآن، فالخطاب: إمَّا لسيِّدِ المُخاطبين - ﷺ - أو لكلِّ مَن له أهليَّة ذلك[1]، فخُروج الخِطاب عن ظاهره في إرادة المُعَيَّن؛ يُقصد به: إرادة العموم.

**دلالة العطف بِـ ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾:**

إفـادة التَّرتيب الـرُّتـبـي بـين الـعَـجَـبَـيْنِ والتَّفاوُت بَيْنَهما

دخلت ﴿ثُمَّ﴾ لتَّراخي ما بَيْنَ العَجبَيْنِ، وكأنَّه يقتضي العجب من توضيح الآيات وتَبْيِينها، أي: إنَّ بيانَنا للآيات أمرٌ بديع في بابه، بالغٌ لأقاصي الغايات القاصيةِ من التَّحقيق والإيضاح، ثمَّ يُنظر في حال من بُيِّنَتْ له، فيرى إعراضهم عنها أعجب وأبدع من توضيحها؛ لأنَّه يلزم من تَبْيينها تَبَيُّنُها لهم والرُّجوعُ إليها، فكونُهم أُفِكُوا عنها أعجَبُ، فمجيء ﴿ثُمَّ﴾ هُنا لإظهار ما بين العجَبَيْنِ مِنَ التَّفاوت[2]، فهي للتَّرتيب الرُّتبي؛ لأنَّ التَّأمُّل في بيان الآيات يَقْتَضِي الانتقالَ مِن العَجَبِ من وضوح البيان إلى أعجَبَ منه، وهو انْصِرَافُهم عن الحقِّ مع وضُوحِه[3].

ويجوز أن تكون ﴿ثُمَّ﴾ على حقيقَتِها، والمُراد مِنْهَا: بيانُ استمرارِ زمَانِ بيَانِ الآيات وامتداده، أي: إنَّهم مع طول زمان ذلك لا يتأثَّرون، ويُؤْفَكُونَ[4].

**سِرُّ تَكرار الأمر بالنَّظر في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ﴾ و﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ﴾:**

كرَّر الأمرَ بالنَّظر في قوله: ﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ﴾؛ لاختلاف المُتَعَلَّق، لأنَّ الأوَّل: أَمْرٌ بالنَّظر في كونه تعالى أوضحَ لهم الآياتِ، وبيَّنها، بحيث

(1) الآلوسي، روح المعاني: 3/374، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/287.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/68، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 4/333.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/287.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 3/374.

لا يقع معها لَبْسٌ، والأمر الآخَرُ: هو بالنَّظر في كونهم يُصرَفون عنِ استماع الحقِّ وتأمُّله، أو في كونهم يَقْلِبُون ما بُيِّنَ لهم إلى الضِّدِّ منه، وهذان أَمْرَا تعجيبٍ[1].

المبالغة في التَّعجيب مع الاهتمام بالنَّظر والتَّدبُّر

وللدَّلالة على الاهتمامِ بالنَّظر والتَّدبُّر، وإنِ اختلفتِ النَّظرتانِ؛ فالأُولى متعلِّقة بكيفيَّةِ إيضاحِ اللهِ لخَلْقِه الآياتِ، والأُخرَى متعلِّقةٌ بانصرافِهم عنها، وصُدوفِهم عن التَّأمُّلِ في مَرَامِيهَا وأهدافِها؛ إذْ تكريرُ الأمرِ بالنَّظرِ للمبالغةِ في التَّعجُّب[2].

**دلالةُ الاستفهام بِـ(أنَّى) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾:**

التَّفنُّن والتَّنويع في الاستفهام مُبالغةٌ في التَّعجيب

(أنَّى): اسمُ استفهام يُستعمل بمعنى: (مِن أين)، ويُستعمل بمعنى: (كيف)، وهو هُنا يجوز أن يكون بمعنى: (كيفَ)[3]، وعليه فإنَّما عدل عن إعادة ﴿كَيۡفَ﴾ تفنُّنًا، ويجوز أن تكون بمعنى: (مِن أين)، والمعنى: التَّعجيب من أين يتطرَّق إليهم الصَّرف عن الاعتقاد الحقِّ بعد ذلك البيانِ البالغِ غايَةَ الوضوحِ حتَّى كان بمحلِّ التَّعجيب من وُضوحه[4].

**سِرُّ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾:**

ظهور إفكهم وصرفهم عن الحقِّ بعد ظُهوره ووُضوحه

يُصرفون عن الحقِّ، والمُراد بِصرفهم عنه، قول بعضهم: إنَّ اللهَ هو المسيح ابن مريم، وقول بعضهم: إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثة، ﷺ عن ذلك علوًّا كبيرًا، وعلى مَن يقول ذلك لعائنُ اللهِ إلى يوم القيامة، فَإنَّهم يقولون هذا الأمر الذي لم يَقُل أحد: أشنَعَ مِنْهُ ولا أعظم، مع ظُهور أدلَّة التَّوحيد المُبَيِّنة له، ولذا قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ على سبيل التَّعجب من أمرهم، كيف يُؤفكون إلى هذا الكفر مع وُضوح أدِلَّة التَّوحيد[5]؟ فَحُذِفَ مُتعلَّق

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/333.
(2) الآلوسي، روح المعاني 3/374، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 2/535.
(3) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 1/665.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/287.
(5) الشنقيطيُّ، أضواء البيان: 1/419.

﴿يُؤْفَكُونَ﴾ اختصارًا؛ لظهور أنَّهم يُصرفون عن الحقِّ الَّذي بيَّنته لهم الآيَات[1].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### الإفك والكذب:

الكذبُ: كلُّ خبرٍ مَخْبَرُه على خلاف مَا أخبرهُ[2]، وهو خلاف الصِّدق، والإفك: هو الكذب الفاحشُ القُبْحِ، مثلُ: الكذب على اللهِ ورسولِه ﷺ أو على القرآنِ، ومثل: قذف المحصنة وغير ذلك ممَّا يفحش قبحُه، وجاء في القرآن على هذا الوجه، كما قال اللّه تعالى ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧﴾ [الجاثية: 7]، وقال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النُّور: 11]، ويُقال للرَّجل - إذا أخبر عن كون زيدٍ في الدَّار، والحالُ أنَّ زيدًا في السُّوق - : إنَّه كذب، ولا يُقال: إفكٌ، حتَّى يكذب كذبة يَفْحُش قُبْحُها، وأصله في العربيَّة: الصَّرف، وفي القرآن: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: يُصْرَفون عن الحقِّ، وتُسمَّى الرِّياح المؤتفكات؛ لأنَّها تَقْلِبُ الأرضَ، فَتَصْرِفُها عمَّا عُهِدَتْ عليه، وسُمِّيت ديارُ قوم لوطٍ: المُؤتفكاتِ؛ لأنَّها قُلِبتَ بهم، وصُرِفت عاليَها سافلَها، فائتُفكت، فهي مُؤْتَفِكَةٌ[3].

**الكذب: إخبار بخلاف الواقع، والإفك: أَشَدُّ الكذب وأقبحه**

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/287.
(2) الكفوي، الكليات، ص: 742.
(3) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 5/358، والعسكري، الفروق اللُّغويَّة ص: 450 - 451.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»